

الأسباب التي جاء زيني من أجلها  
تصب كلها في مصلحة إسرائيل والخوف عليها

زيني قادم من جديد. فليات. ولكن دون أن يكون في انتظاره على لساننا بالمناسبة لا أهلا ولا سهلا! فهو لا يحمل في جعبته أي خير. فلا الولايات المتحدة بلد صديق ولا محايد، ولا زيني في الأساس وسيط ذو وزن في عالم الشخصيات المعروفة. وما هو إلا جنرال احتياط نكرة مغفور أراد الذين أرسلوه أن ينتقموا لهيبة الولايات المتحدة حسب طريقة تفكيرهم فقدفوا به إلينا، بعدما منيت في السابق وساطة الشخصيات الأمريكية الكبيرة من وزن كلينتون وأولبرايت بالفشل في الأعوام السابقة، وحملوا الفلسطينيين وحدهم مسؤولية ذلك الفشل. أي أن عملية اختيار زيني في حد ذاتها مقصود بها العقوبة والحط من قدر القضية ومن قدر الفلسطينيين الذين يعتقد الأمريكيون أنهم الأكثر لهفة على الوساطة الأمريكية. ثم اتبعوا في أسلوب إيفاده لمنطقتنا وسحبه إلى بلاده طريقة تقول: وهذا أيضا كثير عليكم إذا لم تسمعوا كلامنا وتمثلوا لأوامرنا.فها نحن نعيده ونترككم ليضربكم شارون حتى تشبعوا!! فإذا بزيني يزداد تشبعا بهذه الروح العدائية وبأوهام أهميته الشخصية، ويجلس في الولايات المتحدة مثرثرا متطاولا على الفلسطينيين وعلى رئيسهم، مهاجما شهداءهم وأبطال الحرية فيهم، متغزلا في شخصية شارون المعدود من قبل جميع الشرفاء، بل والإسرائيليين العاديين، مجرم حرب أثيما وطاغيا زنيما.

لا أهلا ولا سهلا في انتظار زيني على الرغم من أن رؤساءه عادوا فنشروا على لسانه تكذيبا لما قالت وسائل الإعلام الصهيونية أنه ثرثر به في المنتديات الصهيونية. ولا أهلا ولا سهلا في انتظار ديك تشيني على الرغم من رفعة مرتبته السياسية. فالرفعة عندنا تقاس بالصدق والنزاهة وفق القيم التي أفرزتها بلادنا مهبط الرسالات السماوية و لا تقاس بالمرتبة البروتوكولية ولا بملكية الشركات والأموال. وعندما راح تشيني يتكلم في الولايات المتحدة منذ بضعة شهور قانلا أن سياسة الاغتيال التي تتبعها حكومة إسرائيل مفهومة وجائزة للدفاع عن نفسها، فقد سمعنا صوت الشيطان بعينه صادرا من حنجرته الفاسدة.

### من استنجد بالأمريكيين؟

ونفهم بسبب خبرتنا بالأمريكيين والإسرائيليين أن مجيء زيني المفاجئ بعد طول تدلل وتثاقل يرجع إلى الأسباب الثلاثة التالية حسب ترتيب أهميتها، علما بأن الترتيب قد يختلف ما بين الأمريكيين والإسرائيليين:

(١)السبب الأول: أن الإسرائيليين هم الذين طلبوا بإلحاح عودة زيني بعدما تبين لهم صعوبة تحمل الجمهرات الإسرائيلية هذا الوضع الراهن الذي يشيعون فيه جنازات كل يوم، ويعيش بعضهم في شبه حبس اختياري خوفا من أن يأتيهم الموت أثناء سيرهم في الشوارع، ويعانون من سياسات اقتصادية تقطع من خبزهم وزبدتهم (ولا ننسى جنبهم) من أجل أن تتضاعف موازنة وزارة الحرب. ولا نستبعد أن يكون شارون ذاته مباشرة أو بالواسطة هو الذي طلب عودة زيني، وأنه تكتم هذا الأمر بشدة، لئلا يكتشف شركاؤه الذين يقفون على يمينه في الوزارة أن الرجل كان بالونة مليئة بالغازات وقد نخستها المسلة الفلسطينية فبدأت تفرغ غازاتها. وإلا فما الذي دفع شارون إلى تغيير أسطوانته المشروخة التي كررت عشرات المرات إنه لا مفاوضات مع الفلسطينيين إلا بعد أسبوع كامل من الهدوء التام، فإذا به يقول فجأة: سوف نتفاوض مع الفلسطينيين حول إطلاق النار ونحن نطلق النار. وهذه عبارة جديدة جمعت بين اضطراره إلى التخلي أمام فريق اليسار عن شعاره السابق وبين استمراره في الظهور أمام فريق اليمين بمظهر المقاتل الشرس الذي يفى بوعدده في قتل أكبر عدد من الفلسطينيين.

والأغلب أن يكون شيمون بيريس من ناحيته هو الذي استنجد بالأمريكيين قائلا لهم إن إسرائيل في خطر جراء حماقة شارون وغبائه، وأن شارون أدخل إسرائيل في مغامرة غير مأمونة العواقب، وليس غير الولايات المتحدة من ينقذها منها. فالملاحظ أن إعلان بوش عن إفاد زيني مجددا جاء في أعقاب خروج بيريس من جلسة مجلسهم التي صرح معلقا على ما دار فيها إنه لو كان يعلم أن أمور الوزارة الحالية ستصير إلى ما صارت إليه فإنه كان سيمتنع أصلا عن الانضمام إليها.

والولايات المتحدة بعد هذا وذاك لا تحتاج إلى من يستغيث بها لنجدة إسرائيل. فرجال السي آي إيه موجودون في المنطقة ومبثوثون في مفاصل السلطة فيها بغرض جمع المعلومات وتحليلها وتقييمها على مدار الساعة. وهم موجودون لرعاية مصالح إسرائيل بالقدر نفسه الذي يعنون بمصالح الولايات المتحدة.

وبالإضافة إلى الإسرائيليين من المؤكد أن العديد من رؤوس الأنظمة العربية طلبوا عودة زيني بإلحاح كبير ولأسبابهم المغايرة طبعاً. ولكن الأمريكيين ما كانوا ليستجيبوا لهم لو أن المطالبة اقتضت عليهم وكان الإسرائيليون معترضين. ومع ذلك فسوف يقوم الأمريكيون بتسويق عودة زيني وتقاضي ثمنها بشكل أو بآخر من البلدان العربية التي ينوي تشيني زيارتها.

قبل أن يتكلم تشيني

(٢) السبب الثاني: أن موعد مؤتمر القمة العربية قد اقترب. ولم يعد سرا أن الولايات المتحدة ضد أي مؤتمر عربي للقمة، وأنها سبق أن وضعت العصي في العجلات مرات عديدة بواسطة الضغط على المحسوبين عليها كي يمانعوا في الحضور ويجهضوا الدعوات في بداياتها. فأمریکا تتطابق مع إسرائيل في محاربة فكرة الرابطة بين أهالي المنطقة العرب والمسلمين. وهما تکرهان القومية العربية والإسلام معا وبالقدر نفسه تقريبا لأنهما تکرهان أن تصبح لدى المنطقة قوة مجمعة تقف سدا أمام عمليات النهب الأمريكي للثروات العربية وعمليات الاغتصاب الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية.

ويأتي مؤتمر القمة الذي نحن بصدده في الظروف المشهودة اليوم. ويتوجس الأمريكيون والإسرائيليون من أن يكون لهذه الظروف سلطانها الأدبي والمعنوي الذي لا يدع مجالاً لتهرب المحسوبين على أمريكا من الاستحقاقات التي يملها عليهم الموقف. ومن أهون هذه الاستحقاقات ترك القوى الشعبية في البلدان العربية تتنفس وتجد طريقة للتعبير عن تطلعها للمساهمة في انتفاضة الشعب العربي في فلسطين. ولن نشير جادين ولا مازحين إلى الاستحقاق الواجب بحكم التعاقدات العربية في إطار جامعة الدول العربية ونعني به الدفاع العربي المشترك. فهذا يبدو أبعد من نجوم السماء في ظل من جعلوا العجز عقيدة لا ظرفاً يمكن مغالبتة. ونقول بالمناسبة إنه إذا كان صحيحاً ما صرح به علي عبد السلام التريكي لدى خروجه من قاعة اجتماع مجلس الوزراء العرب أنه ما من جديد في الموقف العربي. وإذا كان كل ما تمخض عن الاجتماع هو الخمسة والخمسون مليون دولار شهرياً لدفع رواتب موظفي السلطة الوطنية، فإن روح القمة القادمة لا تبشر بخير وإن تشيني قد حقق غايته قبل أن يتكلم مع أحد.

(٣) السبب الثالث: إصرار بوش وإدارته على ضرب العراق والتمهيد لذلك بمحاولات إيجاد المناخ الملائم لذلك، مع العودة إلى ترتيب حلف عربي يشارك في الحملة على العراق، على غرار الحلف الأول عام ١٩٩٠ أو حلف الشمال الذي تمكنت الولايات المتحدة من تشكيله ضد أفغانستان.

ومن بين العوامل التي أمكن لبعض الرسميين العرب أن يفهموا الأمريكيين أنها أساسية لإيجاد المناخ الملائم، إبداء الولايات المتحدة شيئاً من الاهتمام بتبريد الصراع الحاد بين الفلسطينيين والإسرائيليين عن طريق إعادة زيني. والواقع أن الأمريكيين لا يجهلون الأهمية الكبرى للقضية الفلسطينية في المنطقة. ولكن رجالات السياسة في الولايات المتحدة سرعان ما يطوون أي ملف وأية تقارير موضوعية حول الشرق الأوسط ويلقون بها إلى الأدرج إذا هز اللوبي الصهيوني الحاكم عصاه في وجوههم مهدداً متوعداً. وهم إما سياسي مبتدئ يتطلع لترشيح نفسه للرئاسة يوماً، أو مرشح يتطلع للنجاح أو رئيس في فترته الأولى يتطلع إلى فترة ثانية. وكلهم يحسب أن اللوبي الصهيوني هو القوة القادرة

على تنغيص عيشه وتخريب حياته والقضاء على مستقبله السياسي. وتتناقل المصادر المطلعة في الولايات المتحدة أن أهم نصيحة قدمها بوش الأب إلى بوش الابن بعد نجاحه الذي يشبه ولادة متعسرة هي أن يبتعد عن موضوع الشرق الأوسط لئلا يغضب عليه اليهود. وبالطبع تتضمن هذه النصيحة الانتهازية أن على الرئيس الجديد حتى لو أصبح مضطرا لاتخاذ قرار حول الشرق الأوسط أن يكون قراره في خدمة الصهيونية وإسرائيل.

وتشيني القادم إلى المنطقة للترويج لضرب العراق هو نائب رئيس متطلع للرئاسة. فهو أشد شهوة حتى من الرئيس المتطلع للتجديد. وكراهيته للعرب كراهية عميقة متأصلة، مما يوحي بأنه صهيوني قديم مجند. ولا شك أن كراهيته للعرب والمسلمين ممزوجة بالحق والاحتمار. ولو أن محاضر جلساته مع الرسميين العرب الذين سيقوم بزيارتهم نشرت ذات يوم على الملأ فلا شك أنها ستكون قطعة من قلة الأدب والبذاءة والتهديد والوعيد. وأهون صيغة يخاطب الواحد من هؤلاء بها هي قوله: أنت تعلم أننا نحن الذين نبقىك على كرسيك!

### لحس البصاق عن الأرض

هذه الأسباب والسياقات التي كانت وراء لحس الرئيس الأمريكي شرطه القائل بضرورة استتباب الهدوء قبل أن يعيد إرسال جنراله النكرة المغمور إلى المنطقة، والتي كانت وراء لحس رئيس الوزراء الإسرائيلي شرطه القائل بضرورة انقضاء أسبوع كامل من الهدوء الصافي كماء الغدير، نقول: هذه الأسباب والسياقات التي أدت إلى عودة ذي الوجه القبيح تصب كلها لصالح إسرائيل ومبعثها الخوف على إسرائيل.

ولكن علينا بعد أن قلنا ذلك أن نستدرك فنقول إنه ليس من السليم ولا من الصحيح مع ذلك أن نتخيل أن القتال طريقنا الوحيد. فما نحن إلا الظاهرة الأمجد من ظواهر المقاومة التي لن تبلغ أن تصبح ظاهرة تحرير في ظل المعطيات الحاضرة.

ومعنى ذلك أننا يجب أن نرفض تماما أن يعاملنا الجنرال النكرة بوصفنا مهزومين أو أن نسمح له بتقديم كشوف إلينا بأسماء الذين يطلب الإسرائيليون من أجهزتنا الأمنية اعتقالهم. إن على الأمريكيين أن يفهموا أن الشعب العربي الفلسطيني واحد موحد بجميع أطيافه وأحزابه وعشائره وشخصياته، حتى أولئك الذين رباهم الأمريكيون على يدهم هم أعجز من أن يلعبوا دورا قياديا توجيهيا، يستوي في ذلك رجالات الجمعيات الأهلية وغيرهم من الشخصيات التي انتقاها الأمريكيون واستقطبوها وجهزوها لدور مستقبلي.

ومن ناحية أخرى يجب ونحن نتكلم مع الجنرال النكرة المغمور أن نحافظ على قوة الزخم والدفء الثوري، ونتجنب الركون إلى الوعود والكلمات الغامضة المطاطة. وعلى إخواننا الذين تمرسوا بالمفاوضات أن لا يوافقوا على تحميل وقف إطلاق النار الذي هو مراد الأمريكيين والإسرائيليين أية زوائد والتزامات يقصد بها إضعاف قدرتنا على المقاومة بجميع ألوانها. وعلى العكس، إن كل شيء يتوقف على تلك القدرة التي أمدنا بها مدد إلهي. فليأت زيني وليأت شيني، ولتبق المسألة في نظرنا مجرد هدنة مشوبة بنوايا أمريكية سيئة ونوايا إسرائيلية إجرامية، لأن اليمين الإسرائيلي الذي لم تنكسر شوكته بعد سيعود لنا بوجوه أخرى وسيستخدم لغة القوة بالدبابة والطائرة والمدفع والطراد.